

فكاهات

رقائبة

سُرقة الحب

حدث في سنة ١٧٩٠ انه كان في مدينة ريمس رجل متوسط الحال رزقه الله ابنة آية في الجمال دعاها اوجيني فلما ترعرت ارسلها الى احدى المدارس لتلقى فيها العلوم وكان والدها يني نفقاتها مما يستفضله من كده واجتهاده . ولما تمت الفتاة دروسها عادت الى بيت ابيها وكان قد اصبح مسنأ ضعيف الهمة فودت ان تعينه في تحصيل القوت وتوفقت الى وجود مدرسة تدرّس فيها بعض العلوم فكانت تكتسب منها ما يني بنفقاتها ونفقات بيتها

وكان في نفس المدينة فتى رقيق الحاشية يدعى اوغست كان يعمل في احد المعامل الكبيرة فيحصل منه ما لا يزيد عن كفايته وكان اوغست ابي النفس عالي الهمة اميناً نشيطاً وكان بين رصفائه مثال الاخلاص والوداد ولدى قيم اشغاله مثال الامانة والاجتهاد . وحدث ان اوغست رأى يوماً اوجيني ذاهبة في الصباح الى المدرسة فأعجب بها غاية الاعجاب وجعل كل يوم يمر من نفس المكان في نفس الوقت فيمتع عينيه بطلعها البهية وتوالت

الايام على ذلك حتى حدث عنده بها ولع شديد ودفعته نفسه الى التعرف بها فرأى من لطف حديثها ورقة اخلاقها ما ضاعف حبه لها فقصد والدها وكلمه في خطبتها . وكان الوالد المسكين غير ميال الى ابعاد ابنته عنه وهي القائمة بمعاشه ولكنه خاف ان يجرمها راحة مستقبلا فاجاب اوغست الى طلبه بعد ان ترضى بذلك اوجيني . ولما عادت اوجيني الى البيت فاتحها والدها بالحديث فلم تبد ممانعة وهكذا فُضي الامر فخطب اوغست اوجيني وجعل بعد ذلك يجتهد في عمله لتحصيل نفقات الزفاف ولم تترك اوجيني مدرستها رجاء ان تحصل ما تعين به والديها وتستبتي شيئا لتجهيز نفسها . وكان اوغست يمر عليها كل يوم بعد انقضاء شغله فتلاقيه في حديقة بيتها ويجلس الحبيبان يتحادثان ويتساكبان وكانت هذه الدقائق تزيد اوغست ولعا وهياما فلم يعد يقوى على مفارقتها دقيقة واحدة بل كان لا يصدق ان ينتهي عمله في المساء حتى يطير على اجنحة الشوق الى مالكة فؤاده .

وفي ذات يوم بينما كانت اوجيني في الحديقة تقطف بعض الازهار مر من هناك احد اصدقاء اوغست فوقف وحيها ثم قال آه ما اسعد اوغست لحصوله عليك وانت ولا شك تجمعين هذا الزهر له فيالها من غبطة . قالت وهل الحصول على زهرة يُبد غبطة . قال نعم اذا كانت من يدك اللطيفة . فتبسمت اوجيني بته ودلال ثم قالت اذا كان الامر كذلك فلا احرمك هذه الغبطة وتناولت زهرة وقالت اقبل مني هذه الزهرة . فطرب الفتى وقال اما وقد تعطفت علي بهذه النعمة فهل لك ان تتيها

وتضعي الزهرة في عروة ثوبي . قالت نعم وتقدمت اليه ثم وضعت الزهرة
 حيث طلب وهو يتأمل في جمالها الرائع ولطافة يدها وبياضها التي
 واذا ذلك سمعت اوجيني وقع اقدام فنظرت واذا باوغست آت
 فاسرعت الى ملاقاته ورأى الفتى الآخر انه لم يعد له محل من الاعراب
 في تلك الجملة فاختلس نفسه وسار في طريقه . ولما قابلت اوجيني حبيبتها
 رآته مقطب الحاجبين فسألته عن السبب فقال لقد ساءني اني رأيتك
 تضعين الزهرة بيدك على صدر هذا الفتى . قالت وماذا يمنع من ذلك
 يا اوغست . قال هو ما تعلمين من حبي لك فاني اكره ان ارى هاتين
 اليدين تخدمان غيري . فصعد الدم الى وجنتي اوجيني وخالجت صدرها
 افكار شتى ثم سكنت روعها وقالت اود ممن يحبني ان يعرف مقدار اماتي
 ويعلم اني لا احتمل تهمة الحيانة . ثم اني لا ارى لك حقاً يا اوغست ان
 تعترضني فيما افعل فانك وان تكن خطيبي الآن لم تصر زوجي بعد ولا حق
 لك في تقييد حرتي منذ الآن . ورأى اوغست تهيجها وقرأ في عينها غيظاً
 شديداً فتلا في الامر وضماها الى صدره مداعباً

واتفق في تلك الاثناء ان جاء من باريز بعض الأسر الشريفة الى
 ريمس لقضاء فصل الخريف فيها فبعد ان استقر بهم المقام جعلوا يتزهون
 في ضواحي المدينة ويزورون المحلات الشهيرة فيها وقصد بعضهم زيارة
 المدرسة التي تعلم فيها اوجيني فأعجبوا بما عاينوا فيها من الترتيب والاتقان
 وكان بين الزائرين فتى من اشراف الفرنسيين يدعى الكنت دوويم قد توفي
 والده وترك له اموالاً طائلة لا منازع له فيها . وكان قد علق ابنة لاهد

الوجهاء تدعى لوزير فاحبها واحبته ولما جاءت مع اسرتها الى ريمس تبعها
وأوى الى نزل بالقرب منها فكان يقضي اكثر اوقاته عند حبيته ويرافقها
حيث سارت وجاء معها ومع آلهها الى المدرسة كما ذكر . اما لوزير فلم تكن
جميلة المنظر غير انها جامعة لافضل الصفات الحسنة التي يتحلى بها النساء
المهذبات فلما دخل الكنت المدرسة وقع نظره على اوجيني فأخذت بمجامع
قلبه لما رأى من جمالها الرائع ورشاقة قدما وعدوية كلامها وانغم فرصة
للاقتراب منها وقال هل انت موكلة بالتعليم هنا . قالت نعم . قال عجبا
وكيف يمكنك مع نحافة جسمك ان تحملي مشاق التعليم واتعب التدريس .
فلم تبد اوجيني جوابا بل اطرت برأسها الى الارض وصبغ الدم وجنتيها
فزاد في جمالها . ثم قال الكنت أولا تروضين نفسك بالنزهة بعد عشاء
الشغل . قالت بلى . قال والى اين تذهبين . قالت الى الغابة التي في شمال
المدينة . قال وفي اية ساعة تذهبين . قالت في السادسة مساء . قال وهل
تذهبين غدا . قالت نعم . قال سأتحري ان اقابلك هناك غدا فان لي
كلاما اقوله لك . ثم اسرع الى قرب حبيته لوزير فاتهموا طوافهم في المدرسة
وعادوا وبقيت اوجيني في حيرة عظيمة وهي تلوم نفسها على ضربها هذا
الموعد مع الكنت على غير قصد منها وكلما خطرت لها مقابله ترتعش جزعا
وودت ان تعلم اوغست بذلك غير انها خافت ان يكون سببا لنيظه وربما
اوله الى معان مختلفة فغلب على رأيها ان تقابل الكنت تلك المرة وحدها
ثم لا تعود الى مقابله مرة اخرى . ومر عليها اليوم الثاني وهي في قلق
شديد الى ان كان المساء وفرغت من شغلها فتأبطت مظلتها وسارت الى

الغابة ولما بلغتها اذا الكنت دوقيم ينتظرها تحت احدى الاشجار فلما رآها
 نهض مسرعاً وصافحها مرحباً . وشعرت اوجيني انها ترتكب ذنباً ولكنها
 تجادت وقالت ارغب اليك يا سيدي الكنت ان تخبرني بما تريد فاني لا
 استطيع ان اتأخر . قال قد اعددت لك هذا الحجر لتجلسي عليه اذا
 شئت . قالت لا فاني افضل المشي . فسار بجانبها ثم قال بلغني انك
 تهوين فلاحاً من فعلة المعامل وقد تعجبت كيف سمحت الاقدار ان يمتلك
 هذا الجسم اللطيف والهيكل البديع رجل اقسى من الحديد واغظ من
 خشب الازاب . قالت كلُّ ياوي الى ابناء جنسه وانا لا اوئل الحصول على
 زوج من الاشراف فليس في ما يؤهلي لذلك . قال كيف لا وانت ملكٌ
 تستحقين العبادة من اشرف ابناء فرنسا واوسعهم جاهاً وثروةً فان الله لم
 يخلق هذا الجسم الا ليرتدي بمطارف الحرير ولم يوجد هذا الوجه الا لينير
 بين اوجه الملوك واصحاب الشأن فاه لو اسعفني البخت وعرفتك قبل الآن
 حتى كنت اجثو امامك طالباً يدك وكنت اعد نفسي من اسعد البشر
 بالحصول عليك . وجعل الكنت يزيد في اطرائه وتمليقه حتى فقد قلب
 اوجيني النسائي كل قوة مدافعة وفكرت فيما تصير اليه من السعادة مع
 هذا الكنت مما لا تحلم به مع حبيها اوغست الفقير . وبينما هما يسيران
 اذا باوغست قادمٌ ولما رأى اوجيني بجانب شابٍ يجهلُ صعد الدم الى رأسه
 وتبين الغيظ في وجهه فاقترب بدون ان يسلم وقال ذهبت الى البيت
 يا اوجيني فلم اجدك وظننت انك تكونين هنا محل زهتك فانت لاخذك
 فيها بنا . فنظرت اليه اوجيني بعين حبٍ ولكن بهيئة المتكبر وقالت لا

حاجة الى ان تأخذني انت الى البيت فانا اقدر ان اذهب وحدي . قال
لكن اظن ان لي حقاً في مرافقتك انا خطيبك اكثر من هذا الشاب
الذي اجهله . قالت انه لا يجبرني على مرافقته بينا انت تأمرني ان اسير
معك وقد اعلمتك قبل الآن انك لم تصر بعد في الدرجة التي فيها تحكم فاطيع .
وبلغ العيظ من اوغست منتهاه فخرق الأرم وصاح مغضباً ستكلم في هذا
المعنى في غير هذا الوقت والآن فاما ان ترجعي معي والا فانك لن تري
وجهي من بعد . قالت لست بداهبة معك وانت وما تريد . فحوّل اوغست
وجهه وسار وفي قلبه براكين من اليأس والقهر والنم . وحينئذ فتح الكنت
فاه وجعل يصف لاجيني شراسة اوغست ثم حقق لها مزيد حبه وانه لا
بأس عليها اذا تركها اوغست فهو سيأخذها ويجعلها اسمد البشر ثم اقتربا
وقد الح عليها ان توافيه الى هنالك في اليوم الثاني . وفي المساء ذهب
الكنت كمادته الى بيت خطيبته لويز فرآها دامعة الطرف فسألها عن
السبب فقالت انها قد اغتمت لغيابه عنها ثم قالت اظنك همت بالمعلمة التي
رأيناها امس فلم تعد تسأل عني . فسكت دوقيم ولم يجب فكان سكوتة
داعياً لزيادة ارتيابها فخرجت الى الحديقة وهي تشرق بالدموع . وتبعها
الكنت ليخفف ما بها واجكته وجد من الرأي ان يعترف لها بانه لم يعد
يجبها كالاول . فجاء اليها وقال اسمعي لي يا لويز اني لم افتن بالمعلمة كما
تزعمن ولكن قلبي قد كره الحب واودت ان اقطع رُبطة بيننا فساحيني على ما
مضى وانسيني في ما سيحيي . ولم تكن لويز متوقعة لسماع هذه الكلمات
فطار رشدها وسقطت الى الارض خائرة القوى فانفضها دوقيم واجلسها على

مقعد خشبي وجلس بجانبها ثم اخذ الاثنان يتعاطبان ورات لويز انه لم يعد
امل في حصولها على محبته وتحققت خيانه فهان عليها الموت وصممت على
امر خفي . فمالكت روعها ثم قالت له اذا كان هذا ما صممت عليه
فوافي غداً في مثل هذه الساعة الى هنا واحضر لي جميع رسائي اليك
فتبادل كتبنا ولا اعود اراك بعد . ففرح دوقيم بذلك ووعداها وسار . اما
لويز فلم تغمض اجفانها كل تلك الليلة وقد اصابها شيء من الجنون وفي
اليوم الثاني ذهبت الى محل الوعد وانتظرت حيناً واذا بالكنت آتٍ

اما اوغست خطيب اوجيني فظهرت له حقيقة الامر للحال وعرف
ان حبيته قد اغريت على تركه ولكنه كان لشدة محبته لها لا يهده الا
سرورها وكان يعلم ان الكنت هائم بلويز فعزم ان يفتح الكنت بالامر
ويخبره انه ان كان حقيقةً يجب اوجيني فمويتنازل له عنها ولكن اذا كان
قصده اللهو بمعاشرتها حيناً من الزمن فانه يسعى بمنعه خوفاً على قلب
اوجيني ان يتعلق بالكنت ثم ترى انه خانها فيكون ذلك عليها وبالاً . ولما
كان مساء الليلة المذكورة انطلق لمواجهة فراه يسير امامه الى ناحية
الحديقة وعلم انه ساع لمقابلة لويز فاحب ان يتبعه ليرى ما يكون او يسمع
من حديثه ما يطلعه على حقيقة حاله . ولما التقى دوقيم بلويز كمن اوغست
وراء شجرة بحيث يراها ولا يريانه .

فقال لويز للكنت ألم ينهك ضميرك عن كسر قلبي أو لا تزال
مصمماً على قطع العلاقات بيننا . قال لا دخل للضمير في شأننا فكما احببتك
كرهتك واود ان اتخلص منك ونحن لم نأت الى هذا المكان للمعاقبة

نخذي رسائلك واعطيني رسائلي كما اتفقنا امس . قالت حسن ايها الظالم
 نخذ رسائلك ثم مدت يدها الى جيبها واخرجت منه مسدساً فوجهته الى
 صدر الكنت وقبل ان تتمكن من اطلاقه وثب الكونت عليها كالذئب
 الخاطف فانثقل المسدس من يدها ووضعها في صدرها وافرغ منه
 رصاصتين اخترقتا قلبها فسقطت على الارض ميتة . وادرك الكنت موقفة
 فاسرع وانتشل من تلك الجثة الجواهر والحلى التي عليها فوضعها في منديل
 في جيبه وهم بالهرب واذا باوغست قد خرج من مخبئه وهجم عليه وهو
 يقول يا لك من قاتل . ولم يكن الكنت ينتظر هذه المفاجأة ولكنه لم
 يلبث ان استعاد رشده فامسك باوغست وجعل يستنيث وينادي وسمع
 اهل البيت اطلاق الرصاص واصوات الاستغاثة فاسرع والد لويز والخدم
 بالمصايح الى محل الحادثة فوجدوا جثة الفتاة مضرجة بالدماء والكنت
 يصيح امسكوا اللص امسكوا القاتل . ولما كان جميعهم يعرفون الكنت وانه
 خطيب لويز لم يشكوا في ان اوغست هو المجرم فوثقه الخدم للحال وساروا
 به وهو صامت فاسلوه الى الجند وأودع السجن واخبر الكنت حزنه
 الشديد على مقتل لويز تعزية لوالديها وفي اليوم الثاني دفنت الجثة بالاكرام
 اللائق ثم احتشد الجمهور في دار الحكومة لسماع محاكمة القاتل . اما
 اوغست فكان صامتاً لا ينس بيت شفة وقرر القضاة جريمته فيكم
 عليه بالاعدام عند ورود الامر الملكي من باريز . وكان بين رجال الشحنة
 فتى ذو عين نقادة فرأى في حالة الكنت ارتباكاً وفي عيني اوغست برآة
 وعفة واستقامة ثم تحقق بعد البحث ان اوغست لم يمس شيئاً من حلى

القتيلة ففكر ان في الامر سرًا عميقًا وصمم على ادراكه . وفي اليوم الثاني اخذ الكنت رسالةً تفصّلها فاذا هي من اوغست يقول فيها « انني تحمّلت القصاص عنك طائغًا وساقبل الموت بسرور لكن املي الوحيد انك بعد ان تخلصت من حبيبتك الاولى تكون مخلصًا لاجليني فاني انما رضيت ان اضحي نفسي حتى لا احرمها السعادة التي تؤملها بمحصولها عليك وفي يقيني انها ستكون عندك في حالة افضل كثيرًا مما يمكن ان تجده عندي . فاذا رأيت اني استحق مكافأة منك لسكوتي عن فعلتك ولاجل تحملي تهمة القتل والسرقة وفوق ذلك الاعدام فالكافأة الوحيدة التي اطلبها منك هي ان تعني باوجيني من بعدي وان يكون من احسانك اليها ما ينسبها ذكري ولا يجعلها تحزن على فقدي »

وكان الكنت دوّيم قلق البال لا يقرّ له قرار ولم يدرك الشرطي المذكور انفاً يتبعه كظله فزعم ان يتخلص من جواهر وحلى لويز خوفًا من ان يراها احد فيكشف سرّه فركب السكة الحديدية وسافر قاصدًا باريز . وكان في طريقه جسر حديدي كبير يمرّ عليه القطار فوق نهر عميق فلما بلغه اخذ المنديل الموضوعة فيه الحلي والقاه الى وسط النهر واذ ذاك سرّي عنه قليلاً وتحقق انه قد انتمت عنه كل شبهة . ولما وصل الى قصره في باريز سجن نفسه في غرفته غير ان ضميره لم يكن يريحه دقيقة من التبكيت فبات عرضةً للوساوس والافكار المزعجة وكثيرًا ما همّ بالانتحار تخلصًا من تعب فكره . وآخر الامر اخذ رسالة اوغست وكتب تحتها رسالةً الى اوجيني يعلمها بالامر على جليته وانه اصبح ملعونًا من السماء والارض

وسيسافر الى اقصى العالم حيث يموت منسياً وارسلها اليها . ثم انه نهض
واخذ بعض ما يحتاج اليه وسار الى محطة القطار عازماً على مهاجرة بلاده
فلم يشعر الا ويدٌ حديدية قد قبضت عليه وسمع صوت قائل يقول اتبعني
يا حضرة الكنت دوقيم فالمدل محتاج اليك . فاصفر الكنت وسقط الى
الارض مغشياً عليه فرفعه الرجل وكان هو الشرطي المذكور ووضعه في
عربة ونقله الى ريمس . وكان في صباح اليوم الثاني موعد انفاذ الحكم في
اوغست فاخبر الشرطي الحكومة بان اوغست بريء وان الجاني هو
الكنت وقدم على ذلك البيئات الناصعة وفي جملتها مندبل الكنت وفيه
الحلى وعليه اسمه وكان الشرطي قد التفتة حين القاء الكنت من نافذة
القطار . ولما استنطق الكنت اقر بما فعل فصدر عليه الحكم بالاعدام
وقبل انفاذ الحكم طلب ان يكتب وصاته الاخيرة فاوصى بجميع امواله
واملاكه لاجيني للتكثير عما جنى عليها

ولما اُفرج عن اوغست وكانت رسالة الكنت قد بلغت الى اوجيني
اسرعت للحال واقبلت الى اوغست فالتت بنفسها على قدميه تطلب الصبح
وقد علمت خطأها الجسيم وعلم اوغست ان ما اتته لم يكن الا عن غرور
سطا على فؤادها الطاهر فاقرن بها وقضت حياتها معه وهي اوفى له من
نفسه واخى عليه من ضلوعه وأطوع له من بنانه